الفصل الثانى

المشاهدات فى سنى الدراسة

— ١ —

المتاحف والآثار . الحدائق . أهذا هو الثلج ؟ . المستشفيات . معرض الجثث «لامورج» . سراى الصناعات ومعرض العمال . دار المسكوكات . مصنع سيفر للخزف . الجمعية الجغرافية . الكنائس . مجلس الشيوخ مجلس النواب .

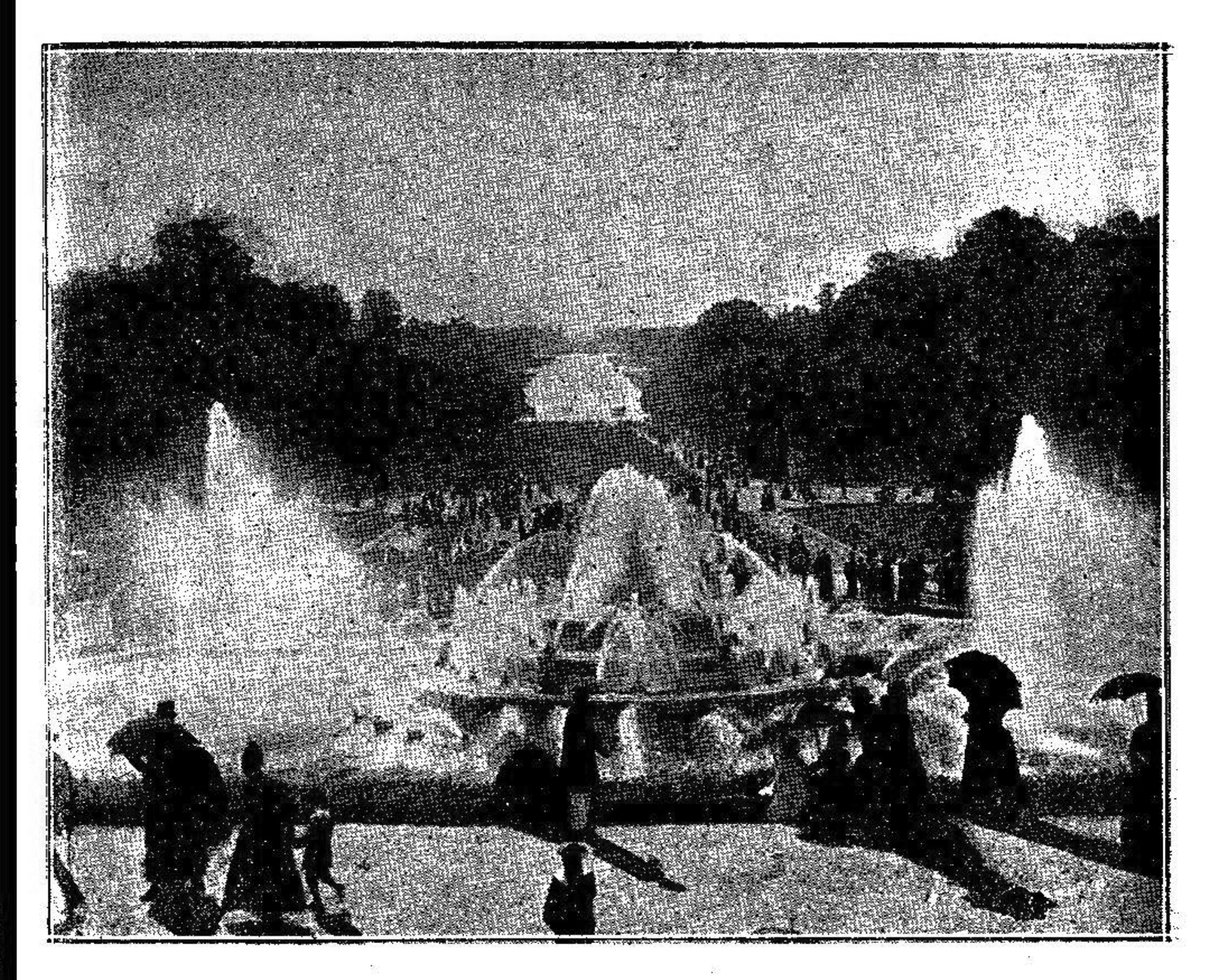
أتاحت لى فرصة الأعوام القلائل التى قضيتها فى الدرس بباريس ، أن أشاهد كثيراً من مظاهر الحياة فيها وآثارها . وسأعرض من ذلك أهم ما رأيته

المتاحف والآثار

متحف قصر فرساى . أول ما قصدت مشاهدته من المتاحف هو هذا المتحف . توجهت فى ٣٠ اغسطس سنة ١٨٨٥ للتفرج عليه . وهو القصر الذى كان يسكنه لويس الرابع عشر ، وفيه صور زيتية عديدة آية فى الفن ، وبه أوان خزفية فى غاية الأبداع ، ويوجد به المحل الذى كانت تقيم فيه خليلة الملك ، وكذلك الباب السرى الذى كانت تستعمله . وعلى باب أحدى خزائن الملكة قفل جميل الصنع قيل انه من صناعة لويس نفسه ، حيث انه كان مغرماً بصناعة الأقفال .

يحيط بهذا القصر حديقة غناء منسقة تنسيقاً جميلا ، وبها فسقيات تتدفق من نافوراتها المياه بشكل بديع والى ارتفاع عظيم . ويبدأ اندفاق المياه منها فى الساعة الرابعة والنصف مساء حتى الساعة الخامسة فى أيام معلومة .

ويوجد فى آخر الحديقة ، قصران يسمى أحدهما تريانو الصغير والآخر تريانو الكبير .



متحف فرساى والنافورات

متحف لوكسمبورج . فى يوم ١٣ سبتمبر قصدت اليه وهو داخل الحديقة المسماة بهذا الاسم، وقد بنى فى سنة ١٦٢٠ وهو فى منتهى الفخامة زينت جدرانه بنقوش وصور لأمهر الفنانين ، وفيه جناح خاص لعرض لوحات المصورين المعاصرين، وبه آيات من بدائع الفن . وخصص فى بعض العصور لسكنى بعض الأميرات والأمراء . كما حول أحياناً إلى سجن لاعتقال بعض الكبراء .

دار العجزة . وبعد أسبوع زرت دار العجزة وقد بناها لويس الرابع عشر لتكون ملجأ للجند الذين يصابون فى الحروب بعاهات ولا أهل لهم ، أو لمن يؤثرون منهم البقاء فيها على الذهاب لأهلهم . وفى داخل هذه الدار متحف الطوبجية وبه الأسلحة بجميع أنواعها منذ أقدم العصور إلى يومنا ، ومنها أسلحة ودروع لكثيرين من ملوك فرنسا وغيرهم ، وتماثيل لبعض مشاهير الفرسان من مختلف الأمم .

وقد أريد بأقامة هـذا المتحف أن يكون سلوى اللاجئين اليه من الجند العجزة إذ يذكرهم بمناظر الحروب ومجدها

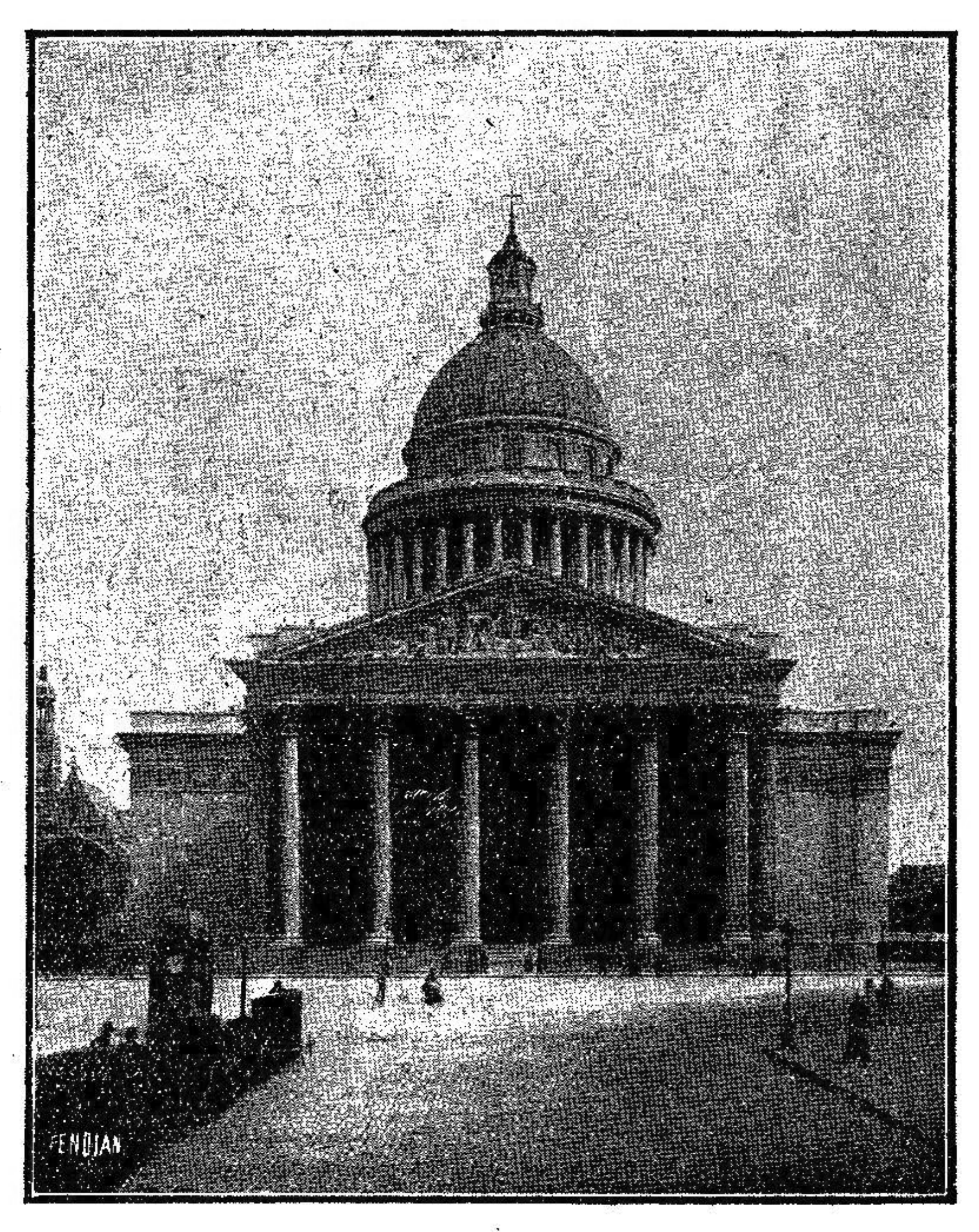


دار العجزة

ومن أغرب ما شاهدت فى هذا المتحف سلسلة من الحديد طولها مائة وثمانون مترا ، وهى التى استعملها الأتراك لوقاية جسر أقاموه على نهـــر الدانوب (الطونة) أيام حصارهم لمدينة فينا .

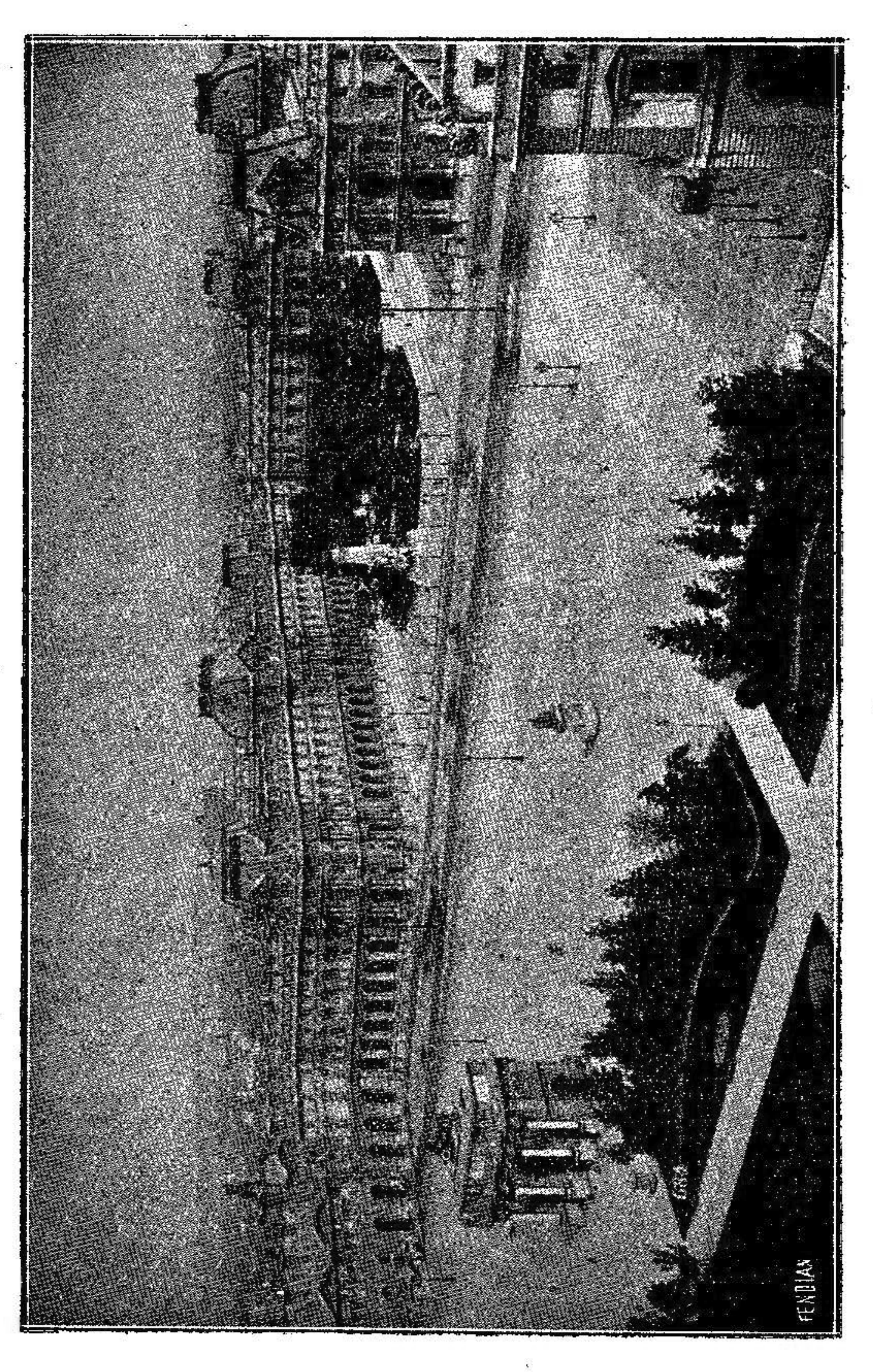
وفى هـذه الدار أيضاً كنيسة قسمت إلى قسمين خصص أحدهما للعبادة والآخر جعل مدفناً لرفات نابليون الأول ؛ وهو عبارة عن مربع شاسع ضلعه ستون مترا وفوقه قبة فخمة والقبر فى وسطه ، وقد نصبت حوله تماثيل عديدة لنابليون وكثير من الاعلام التى غنمها فى حروبه .

البانتيون . وفى نفس هـذا اليوم زرت البانتيون ، وهو بنـاء فخم يقع على ضفة نهر السين الغربية يبلغ طوله نحو ١١٢ متراً وعرضه ٨٤ وله ثلاثة أبواب كبيرة وقد شيدت على وسطه قبةشاهقة يبلغ ارتفاعها ٨٣ متراً . والبانتيون مدفن عظماء فرنسا، وحول فنائه اعمدة كبيرة اقيمت عليها أروقة للزائرين، وقد زينت جدرانه بمختلف النقوش والرسوم



البانتيون

متحف اللوفر . فى ٢٣ يناير سنة ١٨٨٦ ذهبت لزيارته فوجدته قصراً شامخاً فخماً من أعظم أبنية باريس . ينقسم إلى قسمين ؛ اللوفر القـديم واللوفر الحديث . ولـكل من القسمين روعة تأخـذ بالنفس . ويمتاز اللوفر الحديث بقبابه الفخمة وفيه ابهاء متسعة



متحف اللوفر

غصت بتماثيل دقيقة بديعة الصنع لأشهر الحوادث والشخصيات . وقد خصصت الطبقة الأولى من القصر لآثار الحفريات والنقوش المصرية القديمة ، والطبقة الثانية لآثار التصوير وبها كثير من القطع الفنية الخالدة . كذلك يعرض فى هـذه الطبقة كثير من

آثار العصور الوسطى . أما الطبقة الثالثة فتحتوى على أقسام خاصة للأمم ذوات المدنيات العريقة كمصر ؛ والهند والصين وغيرها .

قصر تريانو الكبير . فى يوم ٢٩ يوليه سنة ١٨٨٦ توجهت مع البرنسين عباس ومحمد على (١) إلى ڤرساى حيث زرنا قصر تريانو الكبير. فشاهدنا فيه عربات التشريفات الكبرى التى كانت مخصصة للملوك ومنها عربة نابليون الثالث ويقدر ثمنها بنحو المليون من الفرنكات ، وكانت تجرها ثمانية جياد . وهذا القصر كان قد بناه لويس الرابع عشر وفيه سريره ومكتبته وغير ذلك من آثاره .

كما أن به الصالة الكبرى التى حوكم فيها الجنرال « بازين » وحكم عليه بالموت جزاء خيانته فى حرب السبعين (سنة ١٨٧٠)

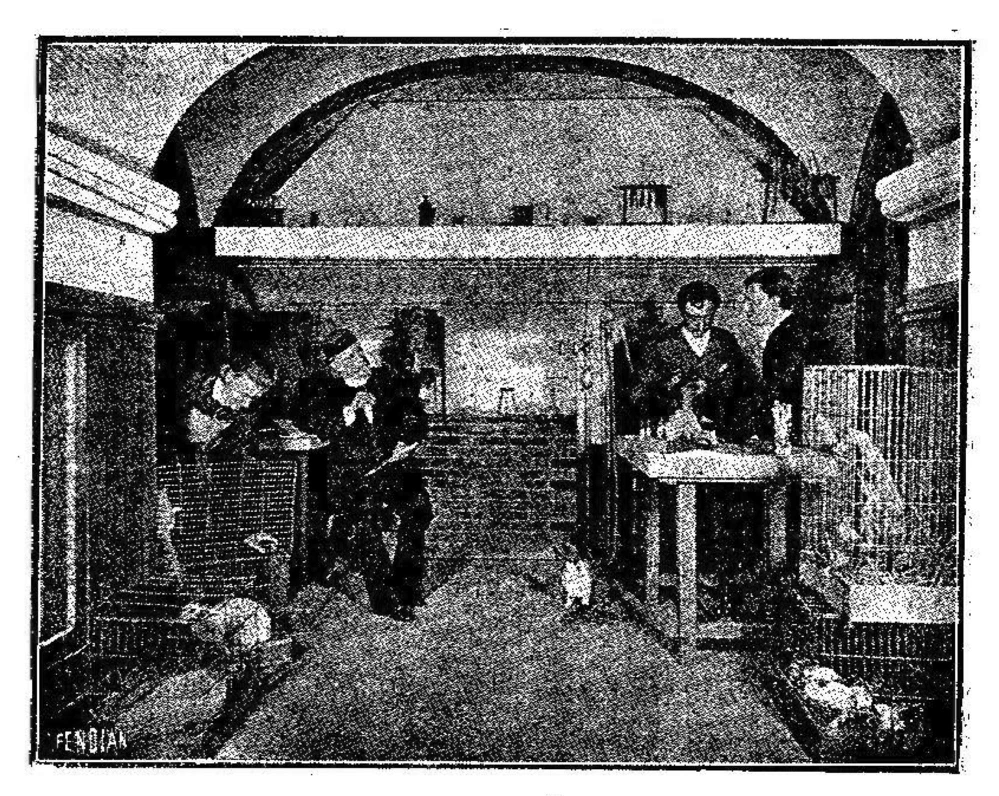
سراى فونتينبلو . وفى يوم ٦ اكتوبر توجهت مع صديق فرنسى لمشاهدة هذه السراى التى تعتبر من أجمل المتاحف والآثار ، وبداخلها جملة مساكن تاريخية ؛ منها مسكن لويس الرابع عشر وعشيقته مدام دُمَنْتِنُن ، وسكن فرنسوا الأول مشيدها ، كما يوجد بها الجناح الذى اعده نابليون الأول لسكنى البابا مدة ان كان أسيراً بها . أما جدران أغلب الحجرات فمكسية بأبسطة غالية جداً قديمة العهد الا أن ألوانها حافظة لبهجتها . وبها مكتبة منظمة جداً فيها نحو الثلاثين ألف مجلد . ومحاطة بحديقة جميلة

ويتبع السراى غابة كبيرة جداً ، وقد تعجبنا من وجود صخور فى وسط هذه الغابة التى صرفنا فى مشاهدتها بضع ساعات . والسراى معدة لأقامة رئيس الجمهورية مدة فصل الصيف

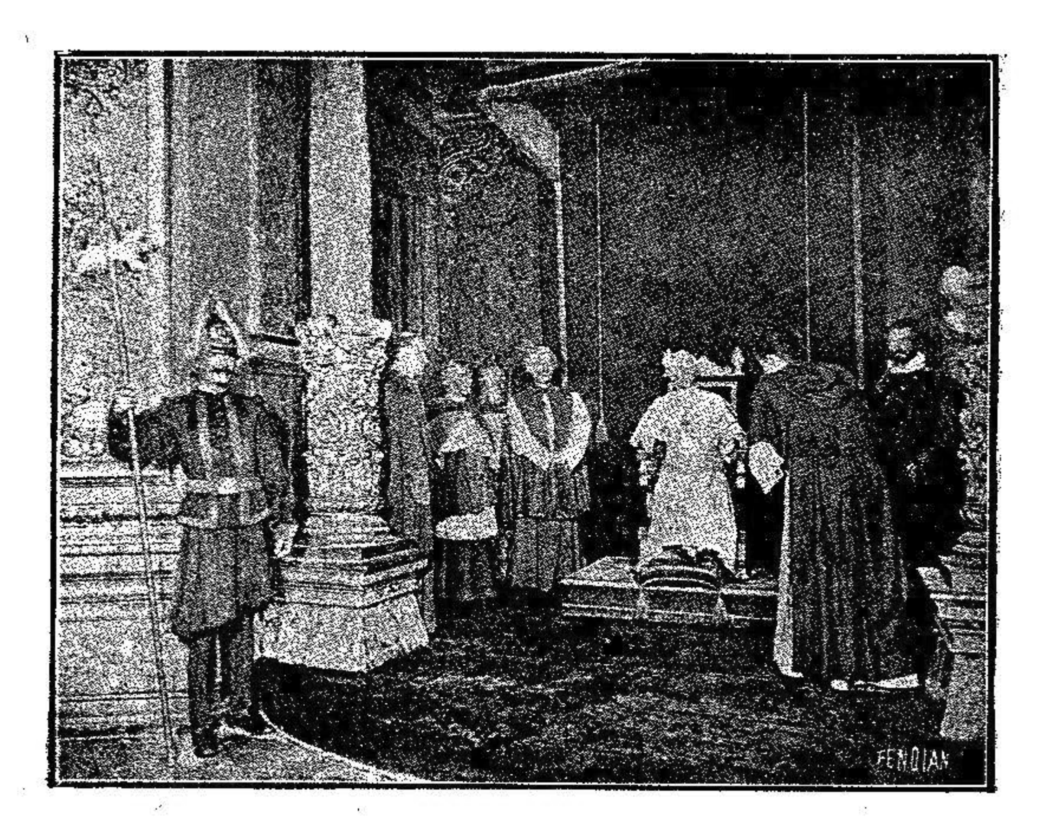
متحف جريفن . وهو متحف أهلى يضم صورا من الشمع لمشاهير الرجال بملابسهم ، واشهر الحوادث . ويقصده الكثيرون من السواح كل عام . وقد زرته منفرداً ومع بعض اصدقائى وفى المرة الأولى وجدت رجلا واقفاً امام مقعد خشبى ملون بالبوية وهو ملتفت إلى ثيابه التى وسخت بألوان المقعد فظننت انه رجل حقيقى ، فوقفت أمامه برهة ولما لم أجد منه حركة دهشت وتنبهت الى انه من التماثيل الموجودة بهذا المتحف ، ومما لفت نظرى ثلاث صور ؛ صورة معمل باستور الكيماوى ، وحفلة استقبال البابا ليون الثالث عشر ، والمقصلة (الجيوتين)

---

(١) أنظر فصل المصريين فى باريس



معمل باستور الكيماوى فى متحف جريفن



حفلة استقبال البابا ليون الثالث عشر فى متحف جريفن



المقصلة (الجيُوتين)

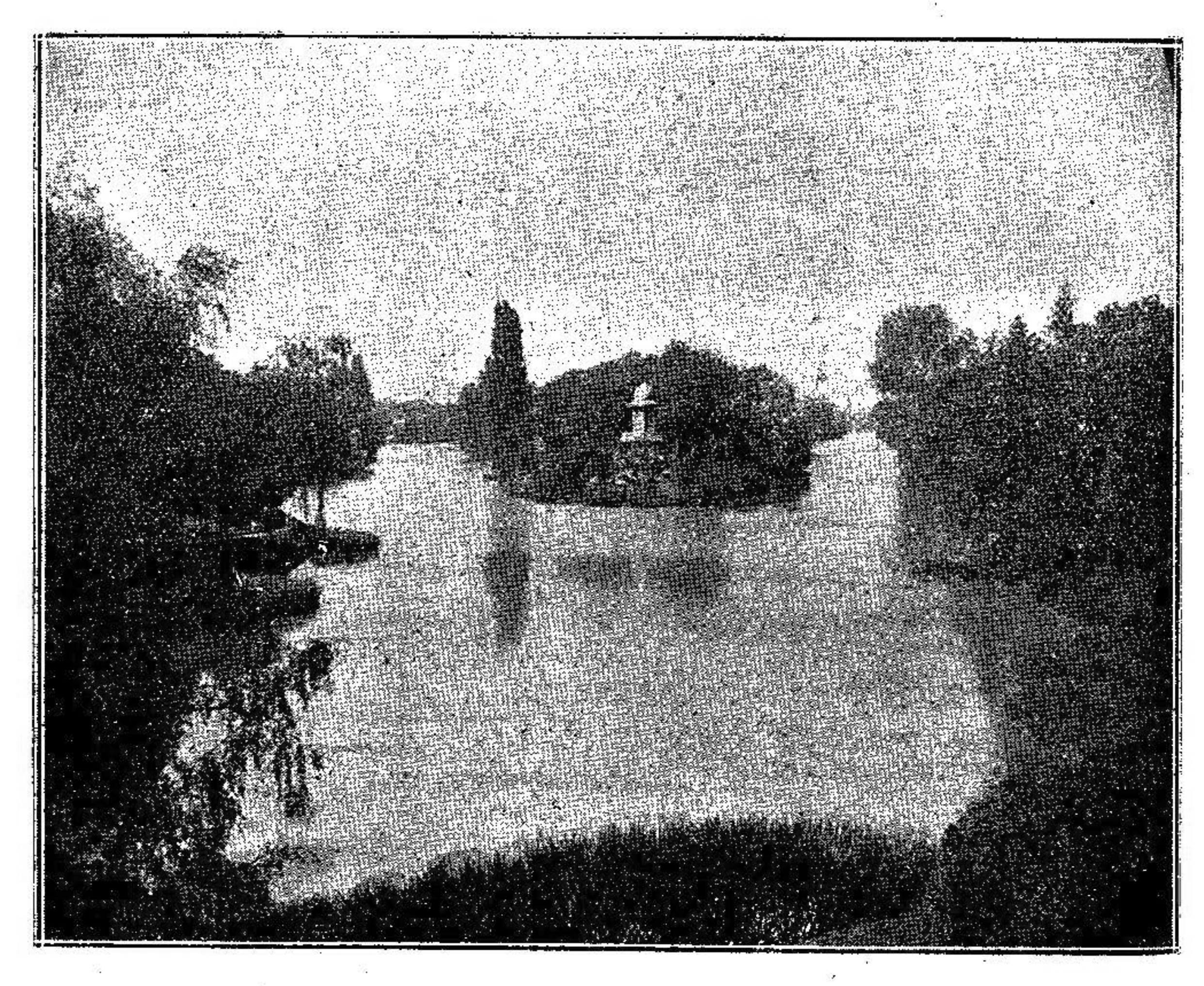
الحدائق . وفى باريس حدائق كثيرة أذكر منها مايأتى : —

حديقة لوكسمبورج . فى يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٥ زرت حديقة لوكسمبورج ، وهى من أقدم وأجمل حدائق باريس . وفى وسطها حوض أقيمت على حافته تماثيل كثيرة ، والحديقة منسقة تنسيقاً جميلا . ومما أعجبنى فيها وجود أشجار الكمثرى على أشكال مختلفة ، منها شكل الأهرام والمظلات والمربع والاسطوانى وغير ذلك ، تتدلى منها ثمار الكمثرى البديعة . ويهرع اليها الباريسيون للرياضة وتصدح فيها الموسيقى العسكرية يوما فى الأسبوع

غابة بولونى . تشرف عليها بلدية باريس ، وقد نظمتها للنزهة وجعلتها على شكل الغابات الطبيعية ، وغرست بها الأشجار الباسقة وجعلت فيها الأدغال والأزهار المنسقة. وهى متنزه علية القوم ، وملتقى الشباب الأنيق من كل صوب ، ومسرح لأسراب الحسان .

وقد زرتها مرارا صيفا وشتاء منفرداً ومع أصحابى

ومن أبدع مناظرها بحيرتان جميلتان كأنهما من صنع الطبيعة ، وبينهما مكان يسمى ملتقى الشلالات ، اذا صعد الأنسان اليه أبصر حوله منظراً ساحراً اذ يرى نهر السين ينساب داخل باريس هادئا براقا ، ويرى من الناحية الأخرى ضاحية « سان كلو » البديعة الواقعة على ضفة نهر السين اليسرى ، وكذا يرى الماء يتدفق من نواحى الغاب إلى العلاء فى اشكال باهرة حتى ليبلغ ارتفاع تدفقه فى بعض الأحيان عشرات الأمتار .



بحيرة غابة بولونى

ومن عجيب ماشاهدته تجمد مياه البحيرتين فى الشتاء وانزلاق الرجال والنساء عليها بالقباقيب .

وبداخل هذه الغابة ترام صغير يوصل إلى حديقة الحيوانات التى تحتوى على أكثر أنواع حيوانات الدنيا من أليف ومفترس ، وفيها شاهدت بعض أهالى جزيرة سيلان رجالا ونساء واطفالا ، والنساء يرتدين مآزر كأهل السودان والحبشة ، ولكن يمتاز بزخرفته . وقد أعجبت برقصهم وألعابهم فوق الفيلة

كما انه يقام بغابة بولونى أيضاً سباق الخيل المشهور لنوال الجائزة الكبرى (١) سنوياً .

حديقة التويلرى . ومن حدائق باريس الشهيرة أيضاً حديقة التويلرى وهى واقعة بجوار ميدان الكونكورد « الوفاق » وتصدح بها الموسيقى العسكرية أيضاً ، وبوسطها بحيرة جميلة . وتقام فى هذه الحديقة بعض الاحتفالات الشائقة كما سيأتى

حديقة النباتات . وفى يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٨٥ توجهت اليها وشاهدت ما تحويه من الحيوانات الكاسرة والثعابين وعظم البالين (٢) ويبلغ طول بعضه فوق الثلاثين متراً. وكذلك صالات بها هياكل عظمية لبعض المشاهير ومن بينها هيكل سليمان الحلبى(٣) قاتل الجنرال كليبر فى مصر مدة وجود الفرنسيين

وبينما كنت أنظر محل القردة تصادف وجود اثنتين من الغانيات فقالت احداهما حينما كانت تحدق فى قرد كبير وهو فى حالة هياج شهوته : آه لو كان عنده فلوس (جاليت) لسررته من وجودى معه

أهذا هو الثلج ؟ . سبق أن نوّهت عن نزولى فى فندق بالقرب من مدرسة العلوم السياسية ، وأخذت فيه صالونا داخله غرفة نوم صغيرة . فى يوم ٨ ديسمبر سنة ١٨٨٥ استيقظت من نومى وأنا أشعر ببرد أكثر من المعتاد . وخرجت من الغرفة إلى الصالون ورفعت الستار عن الشباك المطل على الشارع فوجدت أرضه بيضاء وعربة توزيع الألبان مارة وسطحها أبيض ، ورأيت أشياء مثل ندف القطن تتساقط من السماء . فقلت فى نفسى : — أهذا هو الثلج ؟ لأننى كنت أظن أنه عبارة عن شىء متجمد كالملح. وقد أعجبنى منظره ولم يمنع الناس من السير . فذهبت إلى المدرسة وكنت على وشك السقوط مراراً من الانزلاق . ولو وجه الانسان نظره إلى الأشجار وأسطحة المنازل لوجدها كلها بيضاء . وفى اليوم التالى اشتد البرد . وهذا يرجع الى تجمد الثلج على الأرض

---

(١) انظر فصل المسارح والملاهى (٢) نوع من السمك الهائل

(٣) وقد علمت أن أحد المصريين الذين زاروا هذا المتحف حين رأى هذه الرفات صلى عليها .

وقد تمكنت من الفسحة فى الشانزلزيه ولما توسطته شاهدت المياه التى كانت تتدفق من أفواه التماثيل الموجودة حول الفسقيتين قد تجمدت وأخذت شكل نصف دائرة ، وكان منظراً جميلا

المستشفيات

مستشفى الأمراض السرية . فى ٣١ يناير سنة ١٨٨٦ توجهت مع سيدة لزيارة معلمة انكليزية مريضة بهذا المستشفى . وعند دخولنا أجرى الحراس تفتيشنا مخافة أن تكون معنا فواكه أو أشياء غير مباح تقديمها للمرضى .

وينقسم إلى قسمين ؛ قسم للرجال وآخر للنساء . وهو ذو صالات واسعة وغرف صغيرة تضاء جميعها بالزيت . وكلها نظيفة ، وأسرته من حديد وملابس المرضى مكونة من قمصان وجلاليب كلها من البفتة تصرف من ادارة المستشفى لكل منهم ، وبجانب سرير المريض دولاب صغير عليه بعض الأدوية وكوب للشرب ، وفى داخله حاجات المريض . وقد لاحظت أن أكثر المريضات فى ريعان الشباب وبعضهن غاية فى الجمال . وكلهن مريضات بهذا المرض المنتشر بين النساء فى باريس

وقد علمت أن بهذا المستشفى ٦٩٠ سريراً للرجال والنساء

مستشفى « أوتيل ديو » . وفى يوم ٣٠ يونيه سنة ١٨٨٦ توجهت ومعى صديقاى صالح صبحى ومحمد شاكر . وكلاهما من طلبة الطب ، لزيارة هذا المستشفى الذى يقع بجوار مدرسة الطب ، وهو مستشفى فخم يقصده الاساتذة ومعهم الطلبة ليشرحوا لهم أعراض الأمراض بطريقة عملية ويقوموا أمامهم باجراء العمليات الجراحية على نحو مستشفى قصر العينى . ودخلنا قاعة العمليات وكان بها أستاذ يشرح للطلبة حالة امرأة أصيبت فى كف يدها بخراج فظيع ، ثم تناول المشرط وفتح الخراج فبدرت من المريضة صرخة قوية فأصابنى فى الحال دوار وسقطت على الأرض ، فأسرع رفيقاى إلى إسعافى وقادانى إلى الخارج حيث استنشقت الهواء النقى وعاد إلى صوابى

معرض الجثث «لامورج» . زرته فى نفس اليوم وقد انشىء خصيصاً لعرض الذين يموتون بأسباب جنائية أو غيرها ، حيث توضع الجثث به بعد اتخاذ الاحتياطات لوقايتها من التعفن ، وليتعرف أهل الموتى هنالك على جثث موتاهم ، وتعمل أيضاً به المواجهات القضائية فيأتى المحقق ومعه المتهم لمواجهته بمن نسب اليه الاعتداء على حياته ،

فيضطرب القاتل غالباً متى رأى ضحيته وجهاً لوجه ، ويكون ذلك فى أغلب الأحيان قرينة قوية على جرمه

وتبقى الجثث فى العرض مدة معينة من الزمن تنقل بعدها إلى قاعة التشريح، وفيها تلقى دروس الطب الشرعى على الطلبة وتشرّح لمعرفة أسباب الوفاة . وقد شهدت فى هذه الزيارة أستاذ الجراحة يتكلم عن تشريح بنت اغتصبها أحد المجرمين، وبعد ان أتى معها الفحشاء ، خنقها ودفنها تحت روث البهائم . ولم أتأثر إلا من الرائحة الكريهة التى كانت تنبعث من الجثة

سراى الصناعات ومعرض العمال . وفى يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٨٥ زرت سراى الصناعات وبها معرض عظيم فيه جميع المخترعات الحديثة من آلات وخلافه مما يدل على قوة فرنسا فى عالم الاختراع

وفى يوم ٣٠ يوليه سنة ١٨٨٦ توجهت مع البرنسين وعلى باشا جمال الى معرض العمال، فوجدنا من ضمن ما رأيناه ساعة مركبة على كورتين من البلور ؛ واحدة كبيرة وعليها تقسيم الساعات ، والثانية فوقها صغيرة وعليها تقسيم الدقائق . والكرة الكبيرة مركزة على لوح من الخشب واقف عليه رجل قابض رمحا وهذا الرمح يعين الساعة فى الكرة الكبيرة . وهى آية من آيات الفن

دار المسكوكات . فى ٣٠ مارس سنة ١٨٨٦ دعانى الى زيارتها أحد أصدقائى بمدرسة العلوم السياسية ، فزرنا متحفها وهو ذو ابهاء متسعة نظمت فيها « دواليب » مسطحة وضعت بها أنواع العملة القديمة والحديثة لكل بلاد العالم تقريباً ؛ فمنها المستدير والمربع والمثقوب والمستطيل، وهى عملة اليابان التى كانت تتعامل بها قديماً ، وعلى كل منها تاريخ سكها . ثم زرنا المعامل وشاهدنا كيفية صنع الريالات المستعملة فى تونكين ببلاد الصين ، وكيفية صنع المداليات

وكانت كل الأجهزة المستعملة فى المعمل تدار بواسطة آلتين بخاريتين قوة كل واحدة منهما ٢٥ حصاناً

مصنع سيفر للخزف . فى عصر يوم ٢٩ يوليه زرت مع البرنسين عباس ومحمد على مصنع الخزف الموجود بسيفر فى ضواحى باريس، فشاهدنا كيفية صنعه من أول ما يكون عجيناً إلى حين صيرورته خزفاً بأشكال بديعة ، وكذلك كيفية طلائه بما يسمى « بالمينا » وحرقه وتذهيبه

وبعد خروجنا من المعمل تفرجنا على متحفه ، فوجدنا به أشياء بمبالغ باهظة ونادرة المثال . وهذا المصنع مشهور شهرة عظيمة فى أقطار العالم كلها من زمن بعيد .

الجمعية الجغرافية . كنت مدة إقامتى بباريس انتهز كل فرصة لحضور الاجتماعات العلمية ، ففى يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٨٨٦ دعانى المسيو فرديناند دولسبس أنا وابراهيم بك ذو الفقار — وكنا تعرفنا به — لزيارة الجمعية الجغرافية التى يرأسها وأوصى بجلوسنا وراء مقعده مباشرة . وكان للجمعية دار حسنة بديعة التنسيق بشارع « سان جرمان » وكان الاجتماع فى بهو فخم غص بالحضور وزين بتمثالين كبيرين للرئيس . وافتتحت الحفلة بين التصفيق والهتاف له . وكان مواطنوه يطلقون عليه اسم « الفرنسى العظيم » . ثم تلا السكرتير تقريراً عن أعمال الجمعية طوال عام ١٨٨٦ وما تم فيه من السياحات والاستكشافات موضحاً كلامه بالفانوس السحرى . وتكلم بعده سائح تجول فى بلاد « يوكاتان » من أعمال أمريكا الوسطى فوصف لنا سكانها وخواصها وعرض علينا مناظرها . فصفق له الحضور كما شكره الرئيس باسم العلم ، وسلم اليه مدالية من الذهب وجائزة مالية أوصى بها أحد الأغنياء لمن يقوم بسياحات أو استكشافات مفيدة . وبعد الانتهاء من هذه الجلسة شكرنا مسيو دولسبس وانصرفنا

فرديناند دولسبس

الكنائس . تضم باريس مجموعة عظيمة من الكنائس وقد شاهدت منها ما يأتى : —

كنيسة سان روك . عند ما كنت أتلقى درسى فى اللغة الفرنسية لدى معلمتى فى أحد الأيام، حدثتنى أنه سيقام فى منتصف ليلة ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٨٥ فى الكنائس احتفالات عيد ميلاد المسيح ، ووعدتنى بمرافقتها لى لزيارة احداها ومشاهدة هذه الاحتفالات . وفى الساعة الحادية عشرة من مساء يوم ٢٤ ديسمبر توجهنا إلى كنيسة سان روك وتفرجنا على هذا الاحتفال . وكان الازدحام عظيما جداً ، وهناك سمعنا الترانيم الدينية ينشدها النساء فتتمشى مع الحان « الأورج » فتخرج رخيمة مطربة . وعند منتصف الليل تماماً أخذن فى نشيد ميلاد المسيح والحاضرون يرددونه بنغمات جذابة وتوقيع شجى

وتقيم الطوائف المسيحية فى جميع أنحاء العالم مثل هذا الاحتفال سنويا فى الوقت نفسه

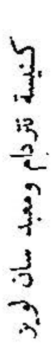
كنيسة سانت أوستاش . وهى من أفخم الكنائس التاريخية فى باريس ، قصدتها فى يوم ٢٥ مارس سنة ١٨٨٦ ، وهو عيد الفصح ، لشهود قداس هام نظمه الموسيقار المجرى الشهير « ليتز » بمناسبة وجوده فى باريس . وكان الدخول بأجر يختلف ما بين خمسة فرنكات وعشرين فرنكا ولكنه مجانى للواقفين فالتحقت — نظراً لعدم وجود أمكنة خالية — بهؤلاء ، وكان الزحام شديداً جداً وثمت طائفة عددها نحو الأربعمائة من الممثلين والممثلات يرددون الألحان الدينية على توقيع « الأورج » الذى كان يعزف عليه الموسيقار المذكور بنفسه . وكانت الموسيقى والترنيم آية فى النظام والابداع

وفى ليلة ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٨٨ توجهت لمشاهدة احتفال دينى آخر بهذه الكنيسة وكان يرافقنى صديقاى احمد بك [1] وابراهيم بك ذو الفقار ، وكان الزحام شديداً جداً ، وعند منتصف الليل ابتدأ العزف على « الاورج » ورتل الأطفال الترتيلات الدينية كما غنى رجل مشهور من ممثلى الأوبرا أغنية دينية بصوته الجميل . وكان الناس يصفقون له استحساناً ويستعيدونه مراراً .

كنيسة نتردام ومعبد سان لويز .. وهى أعظم كنائس باريس وأفخمها ، بنيت منذ العصور الوسطى وتوالت عليها يد التجديد والتجميل مراراً ، ولكنها ظلت محتفظة بشكلها وواجهتها التاريخية التى هى قطعة من الفن البديع ، ولها طبقات ثلاث فى أعلاها برجان يشرفان على باريس . ويبلغ ارتفاعهما نحو ٦٨ متراً . زرتها فى يوم ٢٥ أبريل سنة ١٨٨٦ وشهدت فيها « القداس الأعظم » وكان القس الأكبر يرتدى ثيابه الكهنوتية المزركشة يرفعه من خلفه ولد صغير ، وعلى رأسه تاج وأمامه صفوف من الأطفال

---

(١) كان قد حضر احمد بك ذو الفقار من اكس القرية من مرسيليا بعد أن بدأ بدراسة الحقوق بها لاتمامها فى باريس



كنيسة نتردام ومعبد سان لويز

تبدأ بالصغار منهم وتنتهى بالكبار ، ومن خلفه القسس حسب مراتبهم . وبعد إلقاء القداس طاف هذا الموكب حول الكنيسة ، وكان القس الأكبر يبارك الحاضرين وهم يمرون أمامه واحداً بعد الآخر ، فيلمس رأس كل منهم بتاج من الشوك وقد مررت به كالآخرين وباركنى كما باركهم !

وبعد أن انتهى القداس زرت معبد سان لويز ، وهو مجاور للكنيسة ، وقد بناه لويز القديس ملك فرنسا فى سنة ١٢٤٥ . ورغم صغر هذا المعبد فانه بديع جداً ، وقمته من الخارج مذهبة وعالية ، وكذلك شبابيكه فى غاية من الجمال ودقة الصنع

خطبة ضد الحكومة . وفى ٣٠ مارس سنة ١٨٨٨ عدت لزيارة كنيسة نُتْردام فسمعت هناك حبْراً مشهوراً يخطب بفصاحة وينحى باللوم على رجال السلطة المحلية، لأنهم يمنعون الراهبات من دخول المستشفيات لا لسبب سوى وجود الصليب على صدورهن . وبعد أن انتهى من خطابه سار الجمهور الى داخل المعبد وجثوا راكعين على الأرائك المصفوفة ، وبدأ القس باجراء بعض المراسم الدينية . أما أنا فانسللت الى الخارج

انتقام قس عصرى من رئيسه . وبمناسبة الكلام عن كنيسة نتردام ، أذكر أن تعرفت الى أحد قساوستها عند ما كنت مدعواً للغداء ذات مرة عند مسيو جرى وبعد الانتهاء من الطعام أخذنا نتجاذب أطراف الحديث فرأيت أنه ، رغم تربيته الدينية ، رجل عصرى مستنير . وقد ذكر أن رئيسه يضطهده ولا ينفك يعاقبه لانكاره بعض التقاليد الدينية ، وقص علينا أنه أراد أن ينتقم من رئيسه وأن يسخر به فرآه يوماً فى عزلة ، وكان قد وقع عليه الجزاء لاهماله فى واجباته الدينية ، فقال له إننى رأيت فيما يرى النائم فى حلمه كأننى مت ودفنت ، فحضر الى من يرحب بى وعرض أن يقودنى لاشاهد ما فى الدنيا الأخرى فشكرته وتبعته . وبعد أن سرنا مدة طويلة وصلنا الى باب كبير مغلق فطرقه صاحبى ونادى على الحارس ، وذكر له إسمى . فلما دخلنا من الباب وجدنا كأننا فى مدينة ذات شوارع متسعة ولكن أهلها قليلون وأغلبهم من الشيوخ والعجائز ، لذلك لم يرق المنظر فى عينى ، هذا الى أنى شعرت برجفة باردة فسألت دليلى عن اسم هذه المدينة فأجاب : — إنها «الجنة» فرجوته أن يخرج بى منها مسرعاً لنزور مدينة أخرى أقل برودة . فخرجنا ثم سرنا حتى وصلنا الى باب آخر دخلنا منه كما دخلنا الجنة . فوجدت جوها ألطف وأهلها خليطا من الشبان والكهول ، فقلت لصاحبى لا بأس بما رأيت ، فما اسم هذا المكان فقال : — إنه « مكان الغفران » ثم سألته عما اذا كانت توجد مدن أخرى لزيارتها ، فقادنى الى باب ثالث فتحه لنا حارسه ، وما كدت أدخل حتى ألفيت الجو حاراً والسكان أغلبهم فى متوسط العمر كسيدى الرئيس ، والجميع فى هرج ومرج ، فاختلطنا بهؤلاء الناس وراقنى منظرهم . وواصلنا السير حتى وصلنا الى ميدان كبير جداً صفت فيه كراسى ،

وكنت متعباً من السير الطويل فطلبت من دليلي أن يجد لنا مكاناً للجلوس ، وبعد البحث الدقيق لم نجد إلا كرسياً واحداً فاتجهت إليه ، وما كدت أجلس حتى سمعت من خلفي صوتاً ينهرني بشدة ويقول :— (قم أيها الوقح . . كيف تجرؤ على الجلوس فوق هذا الكرسي وهو المخصص لرئيسك !!) فسألت دليلي أين نحن؟ فقال :— في «جهنم» !! فانتبهت من حلمي على أثر ذلك وأنا ألعن الشيطان الرجيم . فضحكنا لهذا الانتقام اللطيف الذي رتبه القس لرئيسه وسألناه :— وما ذا حصل لك منه ؟ فأجاب :— لقد لعنني مع الشيطان وضاعف على الجزاء .

كنيسة سان سولبيس والكردينال لافيجري والرقيق . في أول يوليه سنة ١٨٨٨ ذهبت الى كنيسة القديس سولبيس لاستمع فيها الى محاضرة يلقيها الكردينال لافيجري عن الرقيق ، وهو موضوع يهمني بصفتي مسلما . وكان يصحبه الكردينال سوداني صغير قال إنه أنقذه من الرق

وقد تكلم عن سير الرق في أفريقية ، ولفت الانظار الى انتشاره ومما قال :—

« لقد زاد الرقيق في أفريقية منذ عشر سنين وأصبح يقدر بمليوني نسمة في السنة ، فاذا استمرت هذه الحال خمسين عاما أخرى فلن يبقى في تلك الأنحاء انسان حر . وما يزال الرق ذائعا عند حدود مصر وفي زنجبار وبلاد العرب وعلى ساحل البحر الاحمر . وبالرغم من رقابة السفن الانجليزية فان النخّاسة يعبرون هذا البحر في جوف الليل فلا يراهم أحد »

ثم تكلم عما يلاقيه الرقيق من الجور والذل . وتعرض الى الاسلام في هذه النقطة فقال :— « ان سوء معاملة الرقيق أمر يبيحه الاسلام » ونصح في ختام محاضرته للحاضرين بالتطوع لمحاربة الرق وتحرير الارقاء .

ولاحظت أن في كلام المحاضر شيئاً من المغالطة لما يأتي :—

أولا — ان الرق قد ألغى منذ عشر سنين في معظم البلاد الاسلامية تنفيذاً للمعاهدات التي عقدت بينها وبين انجلترا .

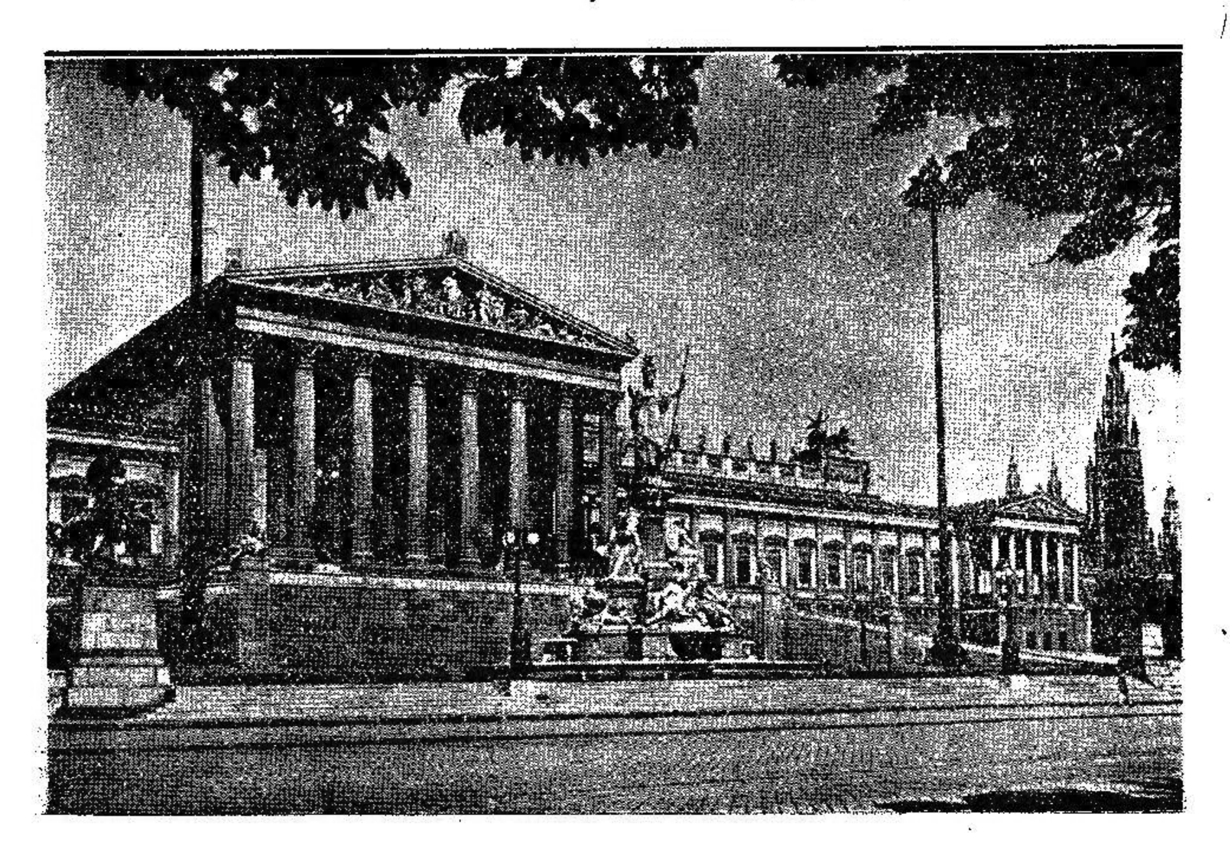
ثانياً — ليس من المعقول أن ينتهي الرقيق بخراب البلاد التي أشار اليها المحاضر في نصف القرن مع ان الرق يباح فيها منذ أقدم العصور ولم يحصل الخراب ! (١)

---

(١) وقد رددت على الكردينال في سنة ١٨٩٠ في مؤلف بالفرنسية ترجم الى اللغتين التركية والعربية عنوانه : « الرق في الاسلام »

مجلس الشيوخ . أردت مشاهدة البرلمان الفرنسى بقسميه فقصدت إلى مجلس الشيوخ فى يوم ٢ يوليه سنة ١٨٨٧ ، وكنت قد تعرفت عند مسيو «مزمر» الى أحد الشيوخ وهو مسيو «جان ماسيه» (١) فسألت عنه وأخذت فى ترحاب إلى أحدى المقاصير المشرفة على المجلس ، وكانت الجلسة قد بدأت وأخذ أحد الأعضاء يتلو مشروع قانون أعدته الحكومة بزيادة ضريبة الوارد على السكر ، وكانت هناك ضوضاء شديدة والرئيس يدق الجرس باستمرار مطالباً بالنظام والسكينة . ثم قام أحد المعارضين للمشروع فتكلم عن المضار التى تنشأ عن تطبيقه، وتلاه أحد أعضاء الحكومة فحبذ إصدار القانون. ثم اقترع على اصداره فحاز الأغلبية . وقد انتهت الجلسة فى الساعة السادسة مساء .

مجلس النواب . وفى ٣١ اكتوبر سنة ١٨٨٧ زرت مجلس النواب مع ابراهيم بك وأخيه احمد بك ذو الفقار . وشهدنا جلسة صاخبة كان التراشق فيها شديداً حتى خيل الينا اننا فى مسرح لا فى مجلس نيابى .



سراى مجلس النواب

(١) وقد اشتهر بمؤلفين لصغار الناشئة أحدهما « حساب الجد » في قالب قصة ، فاعجبت به وترجمته للعربية ولم يطبع . وكتاب « لقمة خبز » لتعريف الصغار وظائف الأعضاء الداخلية للانسان .